وحدة أعلام الشعر العربي الحديث والمعاصر/ جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية
قسم اللغة العربية وآدابها
السنة الأولى ماستر: أدب عربي حديث ومعاصر
المحاضرة: / أ. ريـــلـــي
الموضوع: حـــافــظ إبـــراهـيـــم(1871-1932)

1. مولده وحياته:

شاعر النيل، محمد حافظ بن إبراهيم فهمي، ولد في سفينة كانت ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة ديروط، في أعلى صعيد مصر، من أب مصري مهندس، وأم تركية الأصل وقد اختلف الرواة في تاريخ ميلاده والأرجح أنّه ولد سنة 1871م.

تُوفي والده في الرابعة من عمره فاضطرت والدته أن تنتقل به إلى القاهرة وتعيش في بيت أخيها الموظف في مصلحة التنظيم، وهناك التحق حافظ ببعض المدارس، وظلّ كذلك إلى أن نُقِل خاله إلى طنطا، فكان لابّد له من الانتقال إليها أيضا، رواح فيها يملأ فراغه بالمطالعة وقرض الشعر، وقد ساعدته ذاكرته العجيبة على أن يجمع قدرا كبيرا من الأمثال والنوادر والطرف عن الشعر القديم والحديث، وأن يتخذ من ذلك كلّه بضاعة طيبة لمجالسه الاجتماعية والأدبية، ومرتادا لقريحته الشعرية.

ورأى حافظ نفسه بدون عمل في بيت خاله، فساءه الأمر وأكثر التبرم، ففكّر في المحاماة نظراً لما يملكه من قدرة على المحاورة وفصاحةٍ في اللغة، فعمل محامياً عند بعض مكاتب المحاماة في طنطا، ولكنّه ما لبث أن ضاق بهذا العمل لما يحتاج من جهدٍ ورتابة مملة، ترك حافظ العمل في المحاماة وتوجه إلى القاهرة لينضم للمدرسة الحربية.

انتقل حافظ إلى القاهرة ليلتحق بالمدرسة الحربية هناك، ومن أهم الأسباب التي جعلته يتوجه إليها أنّ المدرسة كانت تعطي لملتحقيها وظيفة حكومية، تخرّج حافظ من المدرسة برتبة ملازم ثانٍ بعمر العشرين وذلك عام 1891م، وبعد تخرجه اشتغل بمنصب ضابطٍ بالوزارة الحربية، ثمّ رُقيّ لرتبة ملازم أول بعد ثلاثِ سنين، تولّى حافظ لاحقاً وظيفة معاون بوليس في وزارة الداخلية، وفي عام 1911 عُيّن حافظ رئيساً للقسم الأدبيّ بدار الكتب الملكيّة، وهناك ألّف كتاباً بعنوان**"ليالي سطيح"** يتحدث فيه عن أحوال مصرَ نثراً و شعراً، وترجم الشاعر الرواية الفرنسيّة الشهيرة **"البؤساء"** إلى العربية. بقي حافظ إبراهيم يعمل بدار الكتب حتى عام 1932م، وكتب في هذه الفترة من الأشعار الوطنيّة ما جعل منه شاعر الشعب.

2. شعر حافظ إبراهيم:

شَعَر حافظ إبراهيم بعدما انقطع عن المدرسة بفراغ كبير، فوجد في نفسه ميلاً إلى الشعر، وكان متأثّراً بالشاعر محمود سامي البارودي، وكانَ منكبّاً على قراءة كتاب الوسيلة الأدبيّة للشيخ حسن المصرفي فأخذ يتعلم من المسائل اللغويّة والشعر ما يثري به نفسه المحبة للشعر.

كان حافظ يملك ذاكرة باهرة؛ مما جعله يحفظ الكثير من الشعر الجاهليّ إلى الشعر الحديث. فأخذ يلقي على أصدقائه من الشعر ما يحفظ وما يكتب، وكانوا يقيمون مناظراتٍ شعريّةٍ أذاعت صيت حافظ، فأسموه الشاعر محمد حافظ إبراهيم.

3. **مجالات شعره:**

كتب الشاعر حافظ إبراهيم في مجالات متنوعة، فكتب بالسياسية وجانب التربية والتعليم، وكتب عن المرأة وحقوقها، كانَ حافظ مناصراً للمرأة مطالباً بحقّها بالتعليم والعمل، ورفض حصر دورها بالبيت ومنعها من الوظائف المهمّة، وكانت آراؤه متأثرةً بآراء الشيخ محمد عبده.

4. **ملامح شعره:**

كانَ الشاعر حافظ إبراهيم منذ صغره يملك موهبة شعريّة لا تخفى على من حوله، كما أنّه قادرٌ على التعبير عمّا يواجهه من مواقف أو مشاعر، عملَ على تنميتها من خلال اطّلاعه على الكتب والأشعار وتعلّمه قواعد الشعر والبلاغة.

وممّا يتميّز به شعر حافظ إبراهيم ما يأتي:

أ.**عاطفته القويّة**: كانَ شعر حافظ إبراهيم شعراً يمتلئ بالمشاعرِ الحزينة للأوضاع الاجتماعيّة في مصرَ، والمشاعر الوطنيّة القويّة، مما جعله شاعراً قريباً للقلوب، وممّا يعيب عليه الأدباء في شعره هو نقصُ التنوّع في العاطفة، فلا نجده يكتبُ في جمال الطبيعة.

ب.**فصاحة ألفاظه**: يختار حافظ إبراهيم من الألفاظ ما يناسب معنى العاطفة التي يريد إيصالها في أشعاره، ويختار من الأساليب ما يناسب المعنى واللفظ، سمّى بعض الشعراء حافظ إبراهيم بالذوّاق؛ لأنّ له ذوقاً مرهفاً باختيار الألفاظ.

جـ. **موسيقى كلماته**: كان يراعي الوقع الموسيقيّ لأبياته، فاتّصفت موسيقى شعره بالرّقة والرقيّ، وتنوعت بين اللّين والشدّة.

د.**الخيال**: ضَحُلَ شعر حافظ إبراهيم في هذا الجانب، فكانت وصوفه غير عميقة، بل يُخرجها للنّاسِ كما يشعر بها، دونَ حاجته للتكلّف أو التبحّر العميق للوصول للوصف المطلوب.

5. أدبه:

أ. **الديوان**: لحافظ إبراهيم ديوان شعر جمعه في حياته، معتمدا على ما نشرته له الصحف، وما حفظه بعض الأصدقاء، وهو في ثلاثة أجزاء صغيرة، نُشر آخر جزء منها سنة 1911، وعندما توفيّ الشاعر نشر له أحمد عبيد في دمشق طائفة من الشعر خلا منها الديوان، ثمّ قامت مكتبة الهلال بمصر بضمّ ما نشره أحمد عبيد إلى الديوان، وأخرجت ذلك كلّه في كتاب واحد سنة 1353هـ، وإذا بقي العمل ناقصا انتدبت وزارة المعارف المصرية العلاّمة الأديب أحمد أمين لرأب الصدع وتدارك الخلل، فاستعان بالأستاذين أحمد الزين وابراهيم الأبياري، وأكبّ على الديوان ضابطا ومُحققا، وإذا الديوان في أكمل صورة وأدق ّإخراج يُطلّ على العالم العربي في سنة 1937، وينشر انتشارا واسعا، وتتعدد طبعاته، ويُخرج في سنة 1969 إخراجا فنيّا رائعا في جزأين ينطوي الأوّل منهما على المدائح والتهاني، والأهاجي والإخوانيات، والوصف والخمريّات،والغزل والاجتماعيات، وينطوي الجزء الثاني على السياسيّات والشكوى والمراثي.

ب. **ليالي السطيح**: كتاب في النثر وضعه حافظ ما بين سنة 1907 و 1908، وهو عبارة عن مقامة نقدية اجتماعية بثّ فيها خواطره وآراءَه في الأدب والسياسة والمجتمع المصريّ.

جـ. **البؤساء**:كتاب **فكتور هوغو** الفرنسي الشّهير عَرّب حافظ قسما كبيرا منه، ولم يتقيّد في تعريبه بالأصل الفرنسي تقيّدا شديدا، فتصرّف فيه بعض التصرف.

د.الموجز في الاقتصاد السياسي: هو كتاب فرنسي وضعه **لورى بوليو** واشترك حافظ إبراهيم وخليل مطران في ترجمته بتكليف من وزارة المعارف.

هـ. كُتيّب في التربية الأولية: ترجمه عن الفرنسية بتكليف من وزارة المعارف.

6. وفاته:

أصيب الشاعر في آخر أيامه بداء السكري، ولم يكن ينتظم بتناول دوائه فاشتدّ عليه المرض، وفي يوم الخميس الموافق 21 تموز عام 1932، توفي حافظ إبراهيم عن عمرٍ يناهز الستين، وقد سار في جنازته الكثير من أصحاب الفكر والأدب، ورثاه على القبر الأستاذ عبّاس محمود العقّاد.

دُفن حافظ ئفي مقابر السيّدة نفيسة، ولكنّ أشعاره أبقته حياً إلى يومنا، بقوتها وجمالها، تاركةً لنا أثرَ شاعرٍ أعلى صوتَ الحقّ في قصائده، وكانَ مثالاً لشجاعة الكلمة وقوّةِ تأثيرها.